التعليم الابتدائي في مصر

تاريخه ونظامه من ايام محمد علي باشا الى اليوم

[صدق البرلمان المصري على قانون تنظيم المدارس الابتدائية للبنين وامتحان شهادة الدراسة الابتدائية — بعد ان قضى كل من مجلسي النواب والشيوخ اكثر من جلسة في بحث القانون ومناقشة كل مادة من مواده بحثاً دقيقاً . فني بدء السنة المدرسية الجديدة رأينا ان ننشر المقالة الآتية في تاريخ التعليم الابتدائي ومدارسه منذ ايام محمد علي الى اليوم]

التعليم الاولي والابتدائي

ينقسم التعليم الابتدائي في مصر الى نوعين :

الاول — التعليم الاولي ، وهو التعليم القومي او تعليم الشعب . والتدريس فيه باللغة العربية . فيتعلم الطفل التهجئة والحساب واللغة العربية والاخلاق وتدبير الصحة والتربية الوطنية والمعلومات العامة وقليلاً من الجغرافية والتاريخ

ومدة التعليم الاولي اربع سنوات وست سنوات في نوعين من المدارس (الاول) يسمّى التعليم الاولي القديم ، و(الثاني) التعليم الالزامي

ومن المدارس الاولية ينصرف التلاميذ إما الى الصناعة او الزراعة او الاحتراف باية حرفة للارتزاق . او الى الورش الصناعية . وأما الى النوع الثاني من التعليم وهو التعليم الابتدائي

وهناك نوع من التعليم الاولي لايزال مقصوراً على ابناء الطبقتين المتوسطة والعليا من اهالي بعض المدن . وهو « رياض الاطفال » ومدتهُ ثلاث سنوات

الثاني — التعليم الابتدائي . ويعلّم فيه ما يُعلّم في المدارس الاولية باسهاب مع تعليم اللغة الانكليزية (او الفرنسية بحسب القانون الجديد) ويستمد تلاميذه إما من رياض الاطفال أو من المدارس الاولية سواء كانت تابعة للحكومة او مجالس المديريات او الجمعيات

ومن التعليم الابتدائي يخرج التلاميذ إما الى التعليم الثانوي او الى مدارس الزراعة المتوسطة او الى الورش الصناعية

في ايام محمد علي باشا

وقد عني المرحوم محمد علي باشا (رأس الاسرة المالكة) بالتعليم الاولي والابتدائي

كما عني بباقي فروع التعليم ودرجاته . فلما بدأ باقتسال البلاد من وهدة الانحطاط جعل غاية التعليم جميعه تكوين الجيش . فكانت المدارس كلها تابعة للحربية . ثم اصدر امراً في ٩ مارس سنة ١٨٣٧ بانشاء ديوان للمدارس اسندت رياسته الى مير اللواء مصطفى مختار بك . فوضع لائحة للتعليم الابتدائي مشتملة على ٢٧ مادة . نص في المادتين الثانية والثالثة منها على انشاء خمسين مدرسة منها اربع بالقاهرة وواحدة بالاسكندرية والباقي في انحاء القطر . وان يكون عدد التلاميذ في كل واحدة من مدارس القاهرة والاسكندرية ٢٠٠ تلميذ . وفي كل من مدارس الاقاليم ١٠٠ تلميذ

وكانت ايرادات الحكومة في ايام محمد علي لا تتجاوز ثلاثة ملايين من الجنيهات يصرف منها على التعليم نحو ١٠٠ الف جنيه

وكانت مدرسة المبتديان بالناصرية (ولا تزال الى اليوم في شارع قصر العيني) اول مدرسة ابتدائية انشأها محمد علي بالقاهرة . وبلغ عدد تلاميذها في ايامه ٣٣٤ تلميذاً يتولى تعليمهم ١٢ معلماً . ويقوم بخدمتهم ٥٩ خادماً . ويصرف عليها ١١٠٠ جنيه في السنة

وانشئ في الاقاليم ٣٨ مدرسة (كتّاب) كان فيها ٤٥٧٩ تلميذاً ، يقوم بتعليمهم ١٤٦ مدرساً . ويخدمهم ٦٤٤ خادماً . ويصرف عليها ٨٦٥٤ جنيهاً في السنة

وكانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية من سنة ١٨٣٧ — ١٨٤٧ ثلاث سنوات يتعلم فيها الطالب (بحسب المادة ٩ من اللائحة) : القراءة والكتابة ومبادئ الصرف والنحو والحساب والفرائض الدينية

في ايام عباس وسعيد

ولما تولى عباس الاول (سنة ١٨٤٨) ضيّق دائرة التعليم واغلق كثيراً من المدارس واخصها المدارس الابتدائية فلم يبق منها الا ثماني مدارس منها مدرسة المبتديان بالناصرية وكان فيها ٢٠٩ تلاميذ ونفقاتها ٨٤٨ جنيهاً . وانشأ في كل مدرسة عالية مدرسة ابتدائية واخرى ثانوية . وبقيت الحال كذلك في عهد سعيد باشا

وفي أيام هذين الحاكمين كانت مدة التعليم الابتدائي ثلاث سنوات تدرّس فيها مبادئ اللغة العربية والخط واللغة التركية ومبادئ علم الحساب ومبادئ اللغة الفرنسوية

في ايام الخديو اسماعيل

وتولى الخديو اسماعيل الحكم في ١٩ يناير سنة ١٨٦٣ . وفي ٢٦ من الشهر المذكور اصدر امراً باعادة ديوان المدارس (الذي عطله عباس باشا الاول) وانشأ مدرسة

ابتدائية واخرى تجهيزية بالعباسية ومدرسة ابتدائية بالاسكندرية

ولم يزل لحظة عن الاهتمام بارسال البعثات العلمية الى اوربا وانشاء المدارس وتحسين حالها . وفتح مدارس طائفة الاقباط الارثوذكس بالقاهرة الفاً وخمسمائة فدان . وقرر انشاء مدرسة ابتدائية في كل مديرية . وشجع التعليم بان وهب المعارف عشرة آلاف فدان . ثم قدم اليها جفتلك الوادي وتبلغ مساحته ٢٢ الف فدان

وانشأ مدرسة السيوفية (السنية) للبنات في سنة ١٨٧٣ لتعليمهن العلوم والاشغال اليدوية . وقد تطورت هذه المدرسة في اشكال مختلفة كان آخرها برنامج سنة ١٩١٤ الذي جعل فيه التعليم الابتدائي ٦ سنوات وادخلت فيه الاشغال اليدوية واشغال الابرة والتدبير المنزلي والطبخ وبستان الاطفال

وفي ايام الخديو اسماعيل وضعت لائحة للتعليم الابتدائي (سنة ١٨٦٧) زيدت فيها مدة التعليم سنة فاصبحت اربع سنوات بدل ثلاث يدرس فيها :

اولاً — اللغة العربية من نحو وصرف ومطالعة وانشاء وعقائد التوحيد وواجبات العبادة والادب

ثانياً — لغة اجنبية او تركية

ثالثاً — مبادئ الجغرافية والتاريخ

رابعاً — اصول الحساب وتطبيقه على التجارة ومبادئ الهندسة وتطبيقها على المساحة

خامساً — نبذة فيما يتعلق بالحيوانات والنباتات الاهلية ومقدمة لفن الزراعة

سادساً — الخط الثلث والنسخ والرقعة والرسم

في ايام الخديوين توفيق وعباس

وفي ايام الخديوين توفيق وعباس (من سنة ١٨٧٩—١٩١٤) اتسع نطاق التعليم الابتدائي واحكمت قوانينهُ ونظاماتهُ . ومع ان مدتهُ بقيت اربع سنوات كما كانت في عهد الخديو اسماعيل لم تكد تمر سنتان او ثلاث حتى دخل شيء من التغيير او التبديل في الدروس بزيادة او نقص في المقرر

والعلوم الاساسية التي لم تتغير او تتبدل هي : (١) القرآن الكريم والديانة (٢) اللغة العربية (٣) الترجمة (٤) الحساب والهندسة (٥) التاريخ (٦) الجغرافية (٧) اللغة الافرنجية (٨) الخط الافرنجي (٩) الرسم . ومن حين الى آخر كانوا يدرسون دروس الاشياء وتدبير الصحة

وكانت الجغرافيا تدرس باللغة الاجنبية . ففي اوائل عهد الخديو توفيق كانت اللغة التركية لغة اساسية ثم جعلت اختيارية منذ سنة ١٨٨٨ وابطلت في اول حكم الخديو عباس

وكان التلميذ حرًّا في ان يتعلم احدى اللغتين الفرنسوية او الانكليزية. ولكن منذ قبض المستر دنلوب على زمام وزارة المعارف اخذ يحارب اللغة الفرنسوية في التعليمين الابتدائي والثانوي حتى قضى عليها قضاءً مبرماً

واهم ما حدث في تاريخ التعليم الابتدائي هو تقرير لائحة امتحان الشهادة الابتدائية في سنة ١٨٩١ وسمح للبنات في فترة من الزمن بالتقدم لنيل هذه الشهادة

وبعد ان انشئ امتحان الشهادة الابتدائية صار لا بد من الحصول عليها للدخول الى المدارس الثانوية ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة الزراعة ومدرسة الطب البيطري ومدرسة البوليس والمناصب الصغرى في دواوين الحكومة واخصها المديريات والبوستة وسكة الحديد . وفي مصالح الحكومة الوف لم يتعلموا غير التعليم الابتدائي . وليس في ايديهم غير الشهادة الابتدائية ولكن هذه الشهادة لم تعد مقبولة للدخول في مناصب الحكومة او المدارس الخصوصية او مدرسة الفنون . واصبحت معدودة شهادة انتقال الى المدارس الثانوية والدخول الى مدارس الزراعة المتوسطة وورش الصناعة فقط

النهضة الحديثة

واتسع نطاق التعليم الابتدائي اتساعاً مدهشاً . وارغمت المدارس الاهلية ومدارس الارساليات الدينية منذ انشاء امتحان الشهادة الابتدائية على اتباع منهاج المعارف . وكان لانشاء مجالس المديريات تأثير عملي في تنشيط حركة التعليم الابتدائي

وفي سنة ١٩٢٤ المدرسية كان لمجالس المديريات ٦٣ مدرسة ابتدائية للصبيان فيها ١٠٣٠٤ تلاميذ . تقدم منهم الى امتحان الشهادة الابتدائية ١٠٤٠ تلميذاً فنجح ٦٤٢ تلميذاً . وكان لها ١٣ مدرسة للبنات فيها ١١٩٥ تلميذة . والآن قلّ ان يخلو احد مراكز المديريات (ويزيد عددها على مائة مركز) من مدرسة ابتدائية للصبيان تابعة لمجلس المديرية . وفي جميع عواصم المديريات (١٤ مديرية في القطر) وبعض المراكز مدارس ابتدائية للبنات

وكانت للحكومة (سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥) ٤٠ مدرسة ابتدائية للصبيان فيها ١٤٨٦٦ تلميذاً تقدم منهم الى الامتحان ٢٢٦٥ تلميذاً فنجح ١١٩٤ تلميذاً و٧ مدارس للبنات فيها ١٠٩٣ تلميذة

وبلغت نفقات التعليم الابتدائي للاولاد بمدارس وزارة المعارف (سنة ٢٤—٢٥) ٢٦٠ الف جنيه ونفقات التعليم الابتدائي للبنات ٨٦ الف جنيه

وبلغ عدد المدارس الابتدائية التي تديرها وزارة المعارف (في سنة ٢٦ — ٢٧) المكتبية ٤٥ مدرسة للصبيان منها عشرون مدرسة في العاصمة و١٤ في الوجه البحري و١١ في الوجه القبلي ومجموع ما فيها من الفصول (الفرق) ٤٧٩ فصلاً. وعدد المعلمين ١٦٣ (يستثنى من ذلك مدرستان جديدتان بالقاهرة لم يدون بالكشف عدد المعلمين فيها) ومن هذا المجموع ٧٣ شيخاً لتعليم اللغة العربية والديانة و٣٦ للعلوم (الحساب والهندسة ودروس الاشياء ومبادىء العلوم والرسم والاشغال) و٥٤ للآداب (واللغة الاورية والخط الافرنجي والترجمة والتاريخ والتربية الوطنية والرياضة البدنية وتدبير الصحة)

والى جانب مدارس وزارة المعارف ومجالس المديريات مئات من المدارس الابتدائية تابعة للبطريكخانات (واخصها لطائفة الاقباط الارثوذكس) والارساليات الدينية من المحليين وغير والجمعيات الخيرية وجمعيات التعليم والافراد والحكومة تشرف على كثير من هذه المدارس الاهلية (ما عدا مدارس الارساليات) وتدفع لها اعانات مالية. وقد اصبح التعليم الابتدائي والثانوي عملاً ماليًّا وتجارة رابحة يقوم بها غير واحد من الماليين وخريجي المدارس العليا

القانون الجديد

ولما عرض القانون الجديد لتنظيم التعليم الابتدائي وامتحان الشهادة الابتدائية على مجلس النواب (جلسة ٧ فبراير الماضي) قال الاستاذ النقراشي بك مقرر لجنة المعارف:

«كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية لغاية سنة ١٩٢٤ اربع سنوات الا انهُ رئي في سنة ١٩٢٥ زيادة هذه المدة الى خمس سنوات. ولكن لما تولت الوزارة الحالية الحكم امر معالي وزير المعارف بتشكيل لجنة ضمت بين اعضائها عدداً من حضرات الشيوخ والنواب، وقد رأت هذه اللجنة زيادة مدة الدراسة في المدارس الثانوية سنة ولكنها رأت الاكتفاء بجعل مدة الدراسة في المدارس الابتدائية اربع سنوات»

وقد نص في القانون الذي اقرهُ البرلمان على ان تكون مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنين اربع سنوات. ولا يقبل بالسنة الاولى من المدارس المذكورة من نقصت سنه في اول السنة المدرسية عن سبع سنين كاملة او زادت على عشر. ولا يبقى في هذه المدارس من زادت سنه في اول السنة المدرسية على عشر سنوات في السنة

الاولى او على ١٢ في السنة الثانية او على ١٤ في السنة الثالثة او على ١٦ في السنة الرابعة

والمواد التي تدرس بالمدارس الابتدائية هي : القرآن الكريم والدين ، اللغة العربية ، الخط العربي ، اللغة الانكليزية او الفرنسية ، الخط الاوربي ، التاريخ ، الاخلاق والتربية الوطنية ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم ، الاشغال اليدوية وفلاحة البساتين ، الرياضة البدنية والالعاب

ويجوز ان تعطى دروس في المواد الاختيارية الآتية : الموسيقى ، التصوير ، الآلة الكاتبة ، امساك الدفاتر ، اللغات وغير ذلك من المواد الاخرى التي يرى وزير المعارف تعليمها بصفة اختيارية

ولا ينقل تلميذ من فرقته الى الفرقة التي هي ارقى منها مباشرة الاَّ اذا نجح في امتحان الانتقال . وتقصر امتحانات الانتقال على المواد الاساسية . واما المواد الاضافية والاختيارية فيعقد لها امتحان مسابقة قبل نهاية كل عام دراسي . ويمنح المتفوقون فيها جوائز على حسب الشروط التي يقررها وزير المعارف

ويعقد امتحان عام لمن اتموا الدراسة الابتدائية . ويسمح بالدخول الى هذا الامتحان لكل تلميذ تلقى دروسهُ بمدرسة اميرية او حرة او بمنزله

ويمتحن التلاميذ لنيل الشهادة الابتدائية تحريراً في المواد الآتية : اللغة العربية واللغة الانكليزية او الفرنسية والخط العربي والخط الاوربي والحساب والهندسة العملية والجغرافيا والتاريخ ومبادئ العلوم والرسم . ويمتحنون شفوياً في اللغة العربية واللغة الانكليزية اوالفرنسية . ولا يعد التلميذ ناجحاً الاَّ اذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة وكذلك على ٤٠ في المائة على الاقل من مجموع النهايات الكبرى لدرجات مواد الامتحان

ويعقد امتحان ملحق يدخله التلاميذ الذين لم يستطيعوا حضور امتحان الدور الاول او اكماله لاسباب قهرية . والتلاميذ الذين رسبوا في امتحان الدور الاول في مادة او اكثر من مواد الامتحان التحريري او الشفوي بشرط ان يكونوا حاصلين في الامتحان التحريري على النهاية الصغرى المقررة لمجموع مواد الامتحان . ويمتحن المتخلفون عن حضور الدور الاول او اكماله وكذلك الراسبون في الامتحان التحريري في جميع مواد الامتحان . اما الذين لم يرسبوا الاَّ في الامتحان الشفوي فيعاد امتحانهم في الدور الثاني في مواد هذا الامتحان فقط

وما أحسن ما قالهُ الاستاذ الشيمي باشا وزير المعارف السابق في مذكرته التي قدم

بها مشروعي قانوني التعليم الابتدائي والثانوي الى البرلمان :

« ان المقصد الاول للتعليم ليس تنشئة الموظفين وانما هو اعداد الوطني المستنير . ولهذا وجب ان يكون للتعليم اساس جديد يمهد السبيل لجيل جديد . لهُ حقوق كاملة وعليهِ تبعات كبيرة . ولقد عنيت وزارة المعارف عناية ارقى الامم في احدث الخطط والنظم . وقد فرض الانقلاب ، الذي سببتهُ الحرب ، على الامم ان تعنى بمضاعفة الانتاج وان تربط التعليم بما لها من حاجات اجتماعية وضرورات اقتصادية فلم يبق شأن للعلم النظري المحض اذا كان عقيماً لا ينفع البلاد نفعاً محسوساً . واصبحت الثقافة العامة شرطاً لكمال الفنون والصنائع . وليس من ينكر ان فريقاً كبيراً من الناشئة تدفعهم الحاجة الى ابتغاء الرزق وهم في فتاء السن فيعالجون في ميدان العمل مختلف المهن من كتابة وزراعة وتجارة وصناعة وليس لهم في ذلك من معين الا الثقافة العملية . لهذا كلهُ اجتمع الرأي على ان يعنى في المعاهد بتدريس المواد العلمية العملية وبان يكون التحصيل بوسائل واساليب عملية » . وقد قصدت وزارة المعارف بادخال المواد الجديدة في التعليم الابتدائي كالاخلاق والتربية الوطنية الى ان تساعد على تكوين جيل قائم على الاستقلال ، بصير بالحقوق والتكاليف ، عليم بمهمته بين الامم . وقصدت بادخال مبادىء العلوم والاشغال اليدوية الى ان تربي الطفل من الوجهتين البدنية والخلقية

واخذت الوزارة بتجارب الامم الراقية من وجوب تنويع المدارس الابتدائية والثانوية في البلاد فادخلت فيها لهذا الغرض من المواد الاختيارية ما يمكن ان تختلف باختلاف كل اقليم حتى لا تتماثل المدارس وتتركز باجمعها في افق واحد . وبتنويع المعاهد بحسب غايات التعليم ووجهة الطلاب في ميدان الحياة تصبح المدارس اكثر مرونة وحياة واقوى في المجموع على سدّ حاجات البلاد

واذا كان محمد علي باشا (رأس الاسرة المالكة) قد قصد بالتعليم الابتدائي اعداد التلاميذ لخدمة الجيش اولاً فللصانع ومصالح الحكومة ثانياً . فاننا اصبحنا بعد انقضاء مائة سنة في غير حاجة الى رجال جيش او موظفين . بل الى مزارعين وصناع يطبقون العلم على العمل . واذا كانت الحكومة قد ادركت هذا الغرض فان امامها عملاً اكبر من التشريع والتقنين . وهو ايجاد عمل للجيوش الجرارة التي تخرجها سنوياً المدارس الابتدائية ولا يرضى واحد من حاملي الشهادة الابتدائية ان يحمل فأساً او يسوق محراثاً

توفيق حبيب